

٥٠

## «الناس تهزم بالخذلان .. لا بعدد الرجال»

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ  
ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمِيذٍ  
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية: ١٦٧].

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَزَكَّهُمْ بِمَا كَسَبُوا  
أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ  
تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: الآية: ٨٨].

\*\*\*



«النبى ﷺ والمسلمون وقد فرغوا من مواراة مالك بن عمرو من بنى النجار.. فأرق ليومه، فأبى النبى - عليه السلام - إلا أن يصلى والمسلمون عليه قبل أن يخرجوا.. المسلمون يتجهزون كل بما يقدر عليه.. النبى - عليه السلام - يترك ابن أم مكتوم ليصلى بالناس بالمدينة.. يتجمع المسلمون بظاهر المدينة يتقدمهم المهاجرون والأنصار للخروج لدفع هجوم قريش وحلفائها من بنى كنانة وثقيف والأحباش وردهم عن المدينة.. النبى ﷺ يسير بين المسلمين، يتفقدهم ويخفف عنهم ما استشعروه من ندم على إكراههم له على الخروج من المدينة.. يكفكف عنهم، ويحثهم على الصبر على ما خرجوا له لدفع العدوان الآتى إليهم من طواغيت الشرك.. يعترضه جعيل بن سراقه، بادى القلق والكرب..».

جعيل بن سراقه : (مكروياً قلقاً متهدجاً الأنفاس) يا رسول الله، إنه قيل لى إنك تُقتل غداً!

النبى : (يضرب بيده برفق على صدره) أليس الدهر كله غداً؟!

«النبى ﷺ يمضى فيما كان فيه من طمأنة الناس.. يقول لهم: «امضوا على اسم الله.. لكم النصر ما صبرتم..» يدفع ﷺ لواء الأوس إلى أسيد بن حضير، ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر، ولواء المهاجرين إلى على بن أبى طالب.. يتهياً - عليه السلام - والمسلمون للتحرك

فى اتجاه تجمعات قريش وأحلافها بجنوب  
 جبل أحد بشمال المدينة.. المسلمون بسلاحهم  
 فيهم نحو مائة دارع.. يتقدمهم صاحب العزم  
 الأكبر ﷺ والناس من حوله، والسعدان: سعد  
 ابن معاذ، وسعد بن عباد، متدرعان يهرولان  
 أمامه.. يمضى جند الإسلام مفارقين المدينة  
 لصد العدوان.. يسلكون «البدائع» (موضع بديار  
 خثعم)، ثم زقاق «الحسَى» (ببطن الرمة).. عند  
 رأس الثنية، فى طريقهم إلى حيث عسكرت  
 قريش.. يتناهى إلى سمع النبى - عليه السلام  
 - أصوات عالية.. يلتفت فيلمح كتيبة خشناء  
 (كثيرة السلاح) لها زَجَلٌ..».

النبى : (لأصحابه) مَنْ هؤَلاءِ!  
 الصحابة : خليط من حلفاء عبد الله بن أبى من غير المسلمين!  
 النبى : (متسائلاً) أسلموا؟  
 الصحابة : لا.  
 النبى : إنا لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك..

«يبادر الصحابة، فيشكرون لهم خروجهم..  
 يبينون لهم أن العدوان القادم من الجنوب يستهدف  
 المسلمين لا سواهم، وأن المعركة معركة المسلمين لا  
 سواهم! يمضى ركب المسلمين حتى يصلوا إلى أطمى  
 الشيخين.. أطلقت العرب عليهما هذا الاسم نسبة  
 إلى شيخ أعمى وعجوز عمياء من زمن الجاهلية،  
 الأطمان بموضع بين المدينة وجبل أحد على الطريق

الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد.. يتوقف النبي - عليه السلام - بالمسلمين لينظر في أمر غلمان بلغه أنهم خرجوا راغبين في الجهاد، ولا يزالون أحياناً صغاراً.. رد - عليه السلام - فيمن ردهم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأبا سعيد الخدري، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والبراء بن عازب، والنعمان بن بشير، وسُمرة بن جندب.. يمضى - عليه السلام - بنفسه بين الناس ليستبعد الغلمان الصغار.. بين الناس ظهير بن رافع.. لا يزال غلاماً، يغلبه حماسه ورغبته العميقة في الجهاد.. يتحایل بالتطاول على خفيين ليبدو شاباً أمام الرسول..

ظهير بن رافع : يا رسول الله، إني رام..

«النبي - عليه السلام - يتبسم له ويجيزه..

يلمح سُمرة بن جندب ما جرى.. ينفذ إلى ربيبه

(زوج أمه) مُرى بن سنان الحارثي غاضباً..»

سُمرة بن جندب : (لربيبه) أجاز رسول الله رافع بن خديج، وردني! وأنا أصرعه!

مُرى بن سنان : (للنبي) يا رسول الله، رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه!

«النبي ﷺ يتفقدهما متبسمًا في مودة.. يختبر

تباريهما، فينتصر سمرة.. يتغشاه الفرح وقد

أجازه النبي مع رافع بن خديج..»

\*\*\*

«بطرف من أطراف عسكر المسلمين.. عبد الله بن أبي في نفر من حلفائه وفيهم بعض المنافقين.. عبد الله بن أبي لا يستطيع أن يخفى ضيقه من استغناء النبي - عليه السلام - عن حلفائه من غير المسلمين.. يهتبل الفرصة ليحدث المنافقين الذين معه في خطأ الخروج من المدينة...».

بعض المنافقين : (محرضين) أشرت عليه بالرأى ونصحته وأخبرته أن هذا رأى من مضى من آباءك.. ومع أن هذا كان رأيه مع رأيك، إلا أنه أطاع هؤلاء الغلمان وترك ما أشرت به؟!!

«ابن أبي يبدو كمن يطوى صدره على أمر لم يفصح عنه!!».



«عسكر المسلمين، وقد أرخى الليل سدوله، وأذن بلال بالمغرب ثم بالعشاء حيث صلى النبي - عليه السلام - بأصحابه.. إن المسلمين لا يأمنون عيون ولا غارات قريش.. النبي ﷺ يقيم على حراسة المسلمين في ليلتهم: محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً.. يرابطون بأطراف العسكر ويطوفون به...».

«النبي ﷺ يتفقد العسكر وينادى في أصحابه...».

النبي : من يحفظنا الليلة؟

مسلم : أنا يا رسول الله..

من الرجل؟	النبي
ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ.	المسلم
اجلس.. (يستأنف) مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟	النبي
أنا يا رسول الله.	مسلم
من أنت؟	النبي
أَبُو سُبَيْعٍ.	المسلم
اجلس.. (يستأنف) مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟	النبي
أنا يا رسول الله.	مسلم
من أنت؟	النبي
ابن عبد قيس.	المسلم
(بعد برهة - منادياً) قوموا ثلاثتكم.	النبي

«لا ينهض إلا واحد.. هو ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ

قيس..».

(مستفسراً) فأين صاحبك؟! :	النبي
أنا الذي أجبته في كل مرة يا رسول الله.. :	ذَكْوَانُ بْنُ قَيْسٍ
فاذهب.. حفظك الله.. :	النبي

«ذَكْوَانُ بْنُ قَيْسٍ، يَلْبَسُ دَرْعَهُ، وَيَأْخُذُ دَرَقَتَهُ،  
وَيَقِفُ يَحْرُسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى الصَّبَاحِ...».

\*\*\*

«عسكر المسلمين، وقد مضى هزيع من الليل  
وأقبل السحر.. النبي - عليه السلام - ينهض  
فينادى في المسلمين..»

النبي : أين الأدلاء؟

بعض الصحابة : لبيك يا رسول الله.  
النبى : من رجل يدلنا على الطريق، ويخرجنا على القوم عن  
كثب.. لا يمر بنا عليهم؟  
أبوخيثة الحارثى : أنا لها يا رسول الله.

«يبدأ المسلمون فى التحرك لا يفارقهم الحذر..  
فقد أتت الأرصاد بأن قريشاً على أهبة الاستعداد،  
وأنها جمعت خيولها وأظهرت عدتها.. وأقامت  
عكرمة بن أبى جهل على الحراسة فى خيل  
من المشركين.. باتت خيولها صاهلة لا تهدأ،  
وتدنو طلائعهم حتى تكاد تلتصق بالحرّة.. لا  
يجازفون بالاقتراب بعدها مخافة محمد بن  
مسلمة والقائمين معه على حراسة أطراف عسكر  
المسلمين..».

«المسلمون فى طريقهم ملتفون حول موضع  
عسكر قريش، يمرون ببستان لرجل يقال له  
مربّع بن قيظى.. منافق أحمق، أعمى البصر  
والبصيرة.. ما إن يسمع مقدم النبى والذين معه،  
حتى يندفع يحثو التراب فى وجوههم..»

مربّع بن قيظى : (مغبر السحنة فى حمق واندفاع) إن كنت رسول الله فإنى  
لا أحل لك أن تدخل حائطى (بستانى).. (ينحنى فيأخذ  
حفنة أخرى من التراب فى قبضته ويلوح بيده) والله لو  
أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك!

«سعد بن زيد الأشهل يغلبه الغضب.. يضربه  
بقوس فى يده، بينما يهم آخرون للفتك بالرجل..  
ينبرى لهم النبى - عليه السلام - ناهياً..».

النبي

: لا تقتلوه.. فهذا أعمى القلب والبصرا!

«يغضب بعض بني حارثة لمربع.. ويكاد الشر

يقع بين بني حارثة وبني عبد الأشهل!!».

بعض بني حارثة : (ثأثرين) هي عداوتكم يا بني عبد الأشهل.. لا تدعونها  
أبدًا لنا!!

أسيد بن حضير : (غاضبًا) لا والله، ولكنه نفاقكم.. والله لولا أنى لا أدري  
ما يوافق النبي ﷺ لضربت عنقه، وعنق من هو فى مثل  
رأيه!!

«تفلت بعض العبارات، حتى كاد أسيد بن

حضير يفارق حلمه، لولا أن أوماً إليه الرسول -

عليه السلام - فكف نفسه على مضض..».

محمد بن سلمة : (مهدئًا) اهدأوا أيها الناس، فإن فينا رسول الله ﷺ هو  
يأمرنا فننفذ أمره!

«وسط هياج الخواطر.. يذبّ فرس أبى بردة

ابن نيار بذنبه، فيصيب طرف سيفه.. تدفعه

المفاجأة لا يعرف المصدر، فيستل سيفه..».

النبي : (لأبى بردة) يا صاحب السيف، شم سيفك (أغمده).. إنى  
أخال السيوف ستسل اليوم فيكثر سلها!!

\*\*\*

«ركب المسلمون وقد بلغوا «الشوط».. بين

المدينة وأحد.. ينخذل عبدالله بن أبى ويتراجع

بمن معه من المنافقين.. يتراجع ابن أبى كأنه

«هيق» (الظلم وهو ذكر النعام).. يسحب معه

نحو ثلث الناس..».

ابن أبي

: (لمن معه من المنافقين) أطاع الولدان ومن لا رأى لهم وعصانى!! ما ندرى علام نقتل أنفسنا أيها الناس ها هنا؟!!

«ينطلق ابن أبي قافلاً بمن اتبعه من أهل النفاق والريب.. يفترق أمر الناس بين راغب فى ملاحقتهم وقتلهم، وبين مؤثر لتركهم وشأنهم.. يكاد الشر يقع بين الناس.. يفيئون إلى السلامة بإشارة من الرسول ﷺ بينما ينطلق عبد الله بن حرام فى أعقاب الراجعين..».

عبد الله بن حرام : (منادياً ابن أبي ومن انخذلوا معه) يا قوم.. أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونببيكم عندما حضر عدوهم.. ألم تباعوه وتعاهدوه أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم؟! يا قوم تعالوا فقاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا!!

المنافقون : لو نعم قتالاً ما أسلمناكم، لا نرى أن يكون قتال!  
ابن أبي : (لعبد الله بن حرام) ما أرى أن يكون بينهم قتال، ولئن أطعتنى يا أبا جابر لترجعن، فإن أهل الرأى والحجى قد رجعوا.. (يستأنف مداهنأ) نحن ناصروه فى مدينتنا، وقد أشرت عليه بالرأى فخالقنا، وأبى إلا طواعية الغلمان!  
عبد الله بن حرام : (مقرعاً) أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغنى الله تعالى نبيه عنكم.

\*\*\*

«النبى ﷺ يتغشاه الوحى، فيلقنه من كلمات

ربه..».

جبريل

: (يتلو على محمد) ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ لَوْ كُنَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَتَيْنَنَّكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة آل عمران: الآية: ١٦٧].

(يرتفع الوحي)

\*\*\*

«النبى ﷺ يتأمل فى أحوال هؤلاء المنافقين، وما كادوا يحدثونه من شقاق، يوافيه الروح الأمين».

جبريل

: (يتلو على محمد) ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَمَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: الآية: ٨٨].

(يرتفع الوحي)

\*\*\*

«عسكر المسلمين وقد انقضت سحابة انخزال ورجوع المنافقين.. صفصف عدد المجاهدين على نحو سبعمائة مجاهد يقابلهم على الناحية الأخرى ما يزيد على ثلاثة آلاف مشرك موتور.. ليس مع المسلمين إلا فرسان: فرس لصاحب العزم الأكبر - عليه السلام، وآخر لأبى بردة، بينما مع الكفار مائتا فرس!! يبادر النبى - عليه السلام - فيمشى بين الناس للربط على

قلوبهم.. يشجعهم، ويسوى صفوفهم.. يمضى  
- عليه السلام - بمن بقى معه ملتقاً ليعسكر بهم  
على سفوح أحد، جاعلاً الجبل خلف ظهره،  
مستقبلاً المدينة.. وجبل «عينين» على جنبه..  
المسلمون على قلة عددهم وعتادهم تملؤهم أشواق  
الجهاد لرد البغى وصد العدوان الآتى إليهم من  
أئمة الشرك والضلال.. النبى - عليه السلام -  
يثبتهم وينهاهم أن يقاتل أحد حتى يأمره..»

عمارة بن يزيد بن السكن : (محتجاً) أنرعى زروع بنى قبيلة.. يطلقون خيولهم وغيرهم  
تأكل زرعنا، ولما نضارب؟!.. قد سرحت قريش الظهر  
والكراع فى زروعنا!!! أندعهم يفعلون ولا نحاربهم؟!

«النبى - عليه السلام - يهدئه فى سماحة..

يدعوه والمسلمين للترقب والصبر والانتظار..»

\*\*\*

«جند الشرك، وأحلاف الضلال بجنوب أحد،  
وظهورهم للمدينة من ورائهم.. يملؤهم القية وقد  
أحسوا برجوع المنافقين وضآلة عدد المسلمين الذين  
رابطوا أمامهم لصد العدوان.. المشركون يجعلون  
على ميمنتهم خالد بن الوليد فى مائة فرس، وعلى  
الميسرة عكرمة بن أبى جهل فى مائة فرس.. وعلى  
المشاة صفوان بن أمية وعمرو بن العاص، وعلى

الرماة عبد الله بن أبي ربيعة.. تحت إمرته مائة  
رام مدرعين..».

«المشركون يدفعون باللواء إلى طلحة بن أبي  
طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد  
الدار بن قصي..».

أبوسفيان : (لامرًا ومحرصًا) يا بني عبد الدار.. إنكم قد وليتم لواءنا  
ببدر فأصابنا ما قد رأيتم.. يا بني عبد الدار، نحن نعرف  
أنكم أحق باللواء منا! إنا إنما أتينا يوم بدر من اللواء،  
وإنما يؤتى القوم من قبل راياتهم، فالزموا لواءكم وحافظوا  
عليه، واخلوا بيننا وبينهم، فإنا قوم مستميتون موتورون،  
نطلب ثأرًا حديث العهد!، إذا زالت الألوية فما قوام  
الناس وبقاؤهم بعدها!

بنو عبد الدار : (وقد ركبهم غضب شديد) نحن نسلم لواءنا؟! لا كان هذا  
أبدًا، فأما المحافظة عليه، فسترى!

«يتقدم بنو عبد الدار، فيحذقون باللواء،  
ويغلظون لأبي سفيان حتى خشى من انتشار  
الشر..».

أبوسفيان : (مهدنًا الخواطن) فنجعل لواءً آخر!  
بنو عبد الدار : نعم، ولا يحمله إلا رجل من بني عبد الدار، لا كان غير  
ذلك أبدًا!

\*\*\*

«عسكر المسلمين بسفوح أحد.. يسوى  
النبي ﷺ بين الصفوف، ويبوي الجند مقاعد

القتال.. يسأل العيون والأرصاد: مَنْ على لواء  
المشركين؟..».

العيون والأرصاد : بنو عبد الدار..

«ينادى ﷺ على صاحبه مصعب بن عمير..

من بنى عبد الدار.. يطير إليه مصعب..».

مصعب بن عمير : ها أنذا يا رسول الله.

النبي : إليك باللواء . خذ اللواء يا مصعب..

«النبي - عليه السلام - يدفع إليه باللواء،

يتناوله قرير العين رابط الجأش والفؤاد..».

أحد الأنصار : (مشفقًا) يا رسول الله، إن الكفار أربعة أضعاف عددنا!!

ألا نستعين..

أحد الصحابة : (مقاطعًا) أرانا ﷺ فى بدر، أن الناس تهزم بالخذلان لا

بعدد الرجال!

الأنصارى : ألا نستعين بحلفائنا من يهود المدينة؟! إن عليهم عهدًا

وميثاقًا أن يدفعوا معنا من يهاجم المدينة!

مهاجر : اعتذروا وتعللوا بأنهم لا يقاتلون ولا يعملون فى السبوت

(أيام السبت)!!

النبي : (حاسمًا) لا حاجة لنا بهم..

«النبي ﷺ ينادى فى المهاجرين والأنصار

وعامة المسلمين.. يقوم فيهم خطيبًا، ناصحًا

ومشجعًا..».

النبي : «أيها الناس أوصيكم بما أوصانى الله تعالى به فى كتابه،

من العمل عليه، ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين،

فإن جهاد العدو شديد كُزبه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله تعالى رشده، فإن الله تعالى مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله تعالى، وعليكم بالذى أمركم به، فإني حريص على رشدكم، وإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز، والضعف، مما لا يحب الله تعالى، ولا يعطى عليه النصر ولا الظفر.. (يستأنف) يا أيها الناس جُدد في صدري أن من كان على حرام فرق الله تعالى بينه وبينه، ومن رغب له عنه غفر الله تعالى له ذنبه، ومن صلى علىّ صلى الله عليه وملائكته عشراً، ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله، في عاجل دنياه وآجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا صبياً أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه، والله غنى حميد.. (يستأنف) ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وأنه قد نفث في روعي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا يُنقص منه شيء، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، فإنه لا يُقدر على ما عنده إلا بطاعته، قد بين لكم الحلال والحرام غير أن بينهما شُبهاً من الأمر، لم يعلمها كثير من الناس إلا من عصم الله تعالى، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أو شك أن يقع فيه، وليس ملك إلا

وله حمى، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده، والسلام عليكم».

\*\*\*

«النبى ﷺ يطوف بالمسلمين.. يذكرهم بما حذرهم منه.. ألا يقاتلوا أحدًا حتى يأمرهم بالقتال.. يعين على الميمنة الزبير بن العوام، وعلى اليسرة المنذر بن عمر الغنوى.. ويختار - عليه السلام - عبد الله بن جبير، أخا بنى عمرو بن عوف، فيجعله على الرماة وهو معلمٌ بثياب بيض.. عين معه خمسين من أصحاب الرمي.. فأمرهم بأن يكمنوا من ورائهم بسفوح جنوب أحد..».

النبى : (لرماة) انضحوا الخيل عنا، لا يأتون من ورائنا، إن كانت لنا، اثبتوا مكانكم لا نؤتت من قبلكم، الزموا مكانكم لا تبرحوا عنه، وإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل فى عسكريهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا، حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تُعينونا ولا تدفعوا عنا، وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تُقدم على النبل، إنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم. اللهم إني أشهدك عليهم.

\*\*\*